مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش

مؤرخ سنة ٨٦٨ هـ - ١٤٦٤م

أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي

تحتفظ إدارة مشروع الأبحاث والتنمية الزراعية بوادي جازان بشاهد قبر مؤرخ عثر عليه أحد العمال بين أطلال مدينة جازان العليا القريبة من المشروع[١]، ويرجع الفضل في معرفتي بذلك الشاهد إلى الأستاذ عوض طاهر سلام، مدير المشروع الذي قابلته في إحدى رحلاتي الميدانية إلى منطقة جازان، وتفضل مشكوراً بإطلاعي عليه، ووضعه بين يدي لدراسته، وأرسل معي أحد العمال لمرافقتي إلى الموقع الذي وجد فيه الشاهد عندما طلبت منه ذلك[٢]، وهناك أتيحت لي الفرصة للاطلاع عن كثب على أطلال مدينة جازان العليا التي كانت فيما مضى عاصمة لإمارة المخلاف السليماني في عهد أسرة الأشراف الغوانم، ثم في عهد بني عمهم آل قطب الدين الذين حكموا المخلاف السليماني فترة طويلة في العصور الإسلامية الوسيطة، وسيطروا على رقعة واسعة تمتد من حدود إمارة حلي بن يعقوب شمالاً إلى جنوب منطقة حرض في الجمهورية العربية اليمنية جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى تخوم السراة شرقاً[٣].

وسنعرض في الصفحات التالية لموقع مدينة جازان العليا الأثرية، وللإطار التاريخي الذي عمل فيه هذا الشاهد، يلي ذلك دراسة باليوغرافية لمحتواه.

مدينة جازان العليا الأثرية :

تقع أطلال مدينة جازان العليا على بعد حوالي ثمانية كيلومترات إلى الشمال الشرقي من مدينة «أبو عريش» المعروفة حالياً بالمنطقة، وتقع على الحافة الجنوبية لوادي جازان، وإلى الشرق من قرية حاكمة التي يقع فيها مشروع الأبحاث والتنمية الزراعية بوادي جازان، وتعرف باسم الدرب، أو درب النجاء[٤]، وتشتهر باسم جازان العليا تمييزاً لها عن جازان الساحلية التي هي ميناء مشهور على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، والعاصمة الإدارية الحالية للمنطقة التي تُسمَّى باسمها، أي منطقة جازان[٥].

ولا يعرف بالضبط شيء عن تاريخ تأسيس مدينة جازان العليا، ولا عن اسم مؤسسها، أو تاريخ اضمحلالها واندثارها على وجه التحديد، وإن كانت هناك بعض الإشارات الواردة في ديوان الشاعر القاسم ابن هتيمل (من رجال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) يستشف منها أنها كانت معروفة في ذلك الوقت[٦]، يضاف إلى ذلك كونها كانت عاصمة للأشراف الغوانم الذين استقلوا بحكم منطقة جازان في الفترة من سنة ٦٢٨ ـ ٨٠٣هـ/ ١٢٣٠ ـ ١٤٠١م[٧]، إلا أن عصر ازدهارها، وربما بناء قلعتها المعروفة باسم الثريا، ربما كان في عهد مؤسس الأسرة القطبية، خالد بن قطب الدين (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩م)، حيث وردت إشارات طفيفة في ديوان شاعر آخر هو الجراح بن شاجر (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) تنسب تلك القلعة، ومرافقها الملحقة بها إلى خالد المذكور[٨]، ويؤكد هذه الإشارات المؤرخ علي بن عبد الرحمن البهكلي بقوله: «ولا أظن العامر لها غير خالد بن قطب الدين وأولاده»[٩].

ومهما يكن من أمر مؤسس هذه المدينة أو العامر لقلعتها، فإنها اتخذت عاصمة للمخلاف السليماني طوال حكم أسرة الأشراف الغوانم التي أشرنا سابقاً إلى أنها حكمت المنطقة من سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م إلى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م، وبقيت عاصمة للمخلاف أيضاً طوال أسرة الأشراف آل قطب الدين التي ورثت الغوانم حكم المخلاف ابتداءً من سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١م، واستمرت في الحكم إلى أن سقطت نهائياً على يد أمير مكة المكرمة، الشريف أبي نمي بن بركات (ت٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م)، في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦-١٥٣٧م[١٠]، وتحقق لهاتين الأسرتين الاستقلال التام بحكم المخلاف السليماني الذي كان يضم منطقة جازان الحالية بالإضافة إلى أراض واسعة من الجمهورية العربية اليمنية تشمل منطقة حرض وماوراءها جنوباً. ولعبت مدينة جازان العليا بحصانتها الطبيعية، ومنشآتها المعمارية القوية دوراً بارزاً في السيطرة على ذلك الإقليم حوالي أكثر من ثلاثمائة سنة[١١].

وعلى الرغم من حصانة هذه المدينة فإنها تعرضت لعدة كوارث أدت في النهاية إلى خرابها، واندثارها، ومن تلك الحوادث الحريق الذي تعرضت له على يد أمير مكة، الشريف محمد بن بركات (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، في عام ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[١٢]، وفي سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧ ـ ١٥٢٨م، تعرضت المدينة للنهب والتدمير على يد حاكم زبيد الجركسي، سلمان الرومي (ت٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م) الذي أمر بإحراق المدينة، وإحراق جميع قرى وادي جازان من أعلاه إلى أسفله[١٣]، يلي ذلك مهاجمة أبي نمي بن بركات، أمير مكة المكرمة، لمدينة جازان العليا في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧م، حيث قضى على حكم الأسرة القطبية، ودمر دور المدينة، وهدم قلعتها الثريا[١٤]، وآخر الحوادث التي تعرضت لها مدينة جازان العليا، كانت في سنة ٩٦٥هـ/

١٥٥٨م في العهد العثماني المبكر، عندما دمرت تدميراً كاملاً، وربما تركت خراباً ينعق البوم على أطلالها[١٥].

ولم تمتد إليها يد التعمير بعد ذلك باستثناء تلك المحاولات التي تمت في عهد الشريف أحمد بن غالب، من أشراف مكة، الذي قدم منها إلى المنطقة، وحكمها ثلاث سنوات (١١٠٢ ـ ١١٠٥هـ/ ١٦٩٠ ـ ١٦٩٤م)[١٦]، ولا نعرف مدى نجاحه في تعميرها، وبقائها بعد محاولته تلك؛ لأنه هزم، وعاد إلى موطنه بالحجاز، تاركاً مدينة جازان التي يبدو أنها طواها النسيان، ودخلت في غيبته في طور من الخراب والاندثار، وحلّت محلها جارتها في الجنوب، مدينة أبو عريش التي أصبحت فيما بعد عاصمة للمخلاف السليماني[١٧].

وصف أطلال مدينة جازان العليا:

تقع أطلال مدينة جازان العليا على الحافة الجنوبية لوادي جازان، وإلى الشرق من قرية حاكمة ـ كما أسلفنا ـ وتطل على الوادي من موقعها المرتفع في طرف الحرة المسماة حرة امْرَاح (الرّاح)، وهي مغطاة بغابة من شجر الأراك الذي يمتد ليغطي معظم الجدران المتبقية من أطلال المدينة بحيث لا يرى منها إلا بعض أطراف السور الذي كان محدقاً بالمدينة، حين ازدهارها حتى أن الأهالي يسمون الموقع باسم الجُدُر أو الجدور نسبة إلى جدران الأسوار المحدقة بالموقع[١٨]، أما داخل السور فمن الصعب تبين أطلال القلعة، والمرافق الملحقة بها، ومنازل المدينة ودورها؛ لأن كل هذه الأطلال عَلَتْها أشجار الأراك الضخمة، ولا يرى من خلالها إلا ركام الأحجار، وبعض أطراف الجدران التي لا تزال متماسكة. وهناك بعض البقع بين الأشجار تتخللها أساسات بعض المنازل، ومسجد صغير لا يمكن أن تشكل وحدها صورة لتلك المدينة التاريخية[١٩]. ولا يمكن

عمل خريطة للموقع، أو تقديم وصف دقيق له ما لم تُزل تلك الأشجار المزعجة التي تقصر الجهود الفردية دون إزالتها، وتنظيف المكان منها.

على أن هناك وصفاً مفيداً تركه لنا البهكلي عند تجديد قلعة جازان على يد الشريف أحمد بن غالب في شعبان سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢ ـ ١٦٩٣م، حيث يذكر أن الشريف أحمد أمر بقطع الأشجار التي سترت أرضها، ثم ضرب خيمة بالموقع، وأكثر من الصناع والعمال الذين امتلأ بهم المكان بعد أن كان مقفراً، وبالغ في إعادة تلك القلعة كما كانت، وأقامها على أسسها القديمة التي كان عرضها سبعة أذرع ونصف الذراع، ومساحتها عند إعادة بنائها كانت حوالي ٧٠٠٠ متر مربع[٢٠]، ويذكر أن الشريف أحمد بن غالب بذل عناية فائقة في توثيق بنيانها وإحكامه بحيث تستطيع الصمود أمام الحروب وشدة الحصار[٢١]، وزار العقيلي أطلال مدينة جازان العليا مرتين قبل ثلاثين سنة، ولعل الولوج إليها كان أسهل مما هو عليه اليوم، فقد استطاع تَبَيُّنُ موقع القلعة، وبعض مرافقها على الرغم من وجود الأشجار الكثيفة التي كانت تغطي بعض جدرانها، حيث يذكر أن أطلال القلعة تقع في الناحية الشمالية الغربية، وأنها تتكون من عدد من المباني، ومن أبراج قوية البناء، تظهر عليها بقايا النورة التي طليت بها، وبداخلها بئر واسعة. ولا تزال حوائط القلعة، وغرفها متماسكة البنيان يصل ارتفاع بعض جدرانها القائمة إلى ستة أذرع، ولو أن أغلب مبانيها مردوم ومدفون[٢٢]، ويذكر العقيلي أيضاً أن بقية المباني تقع إلى الشمال والجنوب من القلعة، من ذلك وجود آثار حصن في الجهة الجنوبية الغربية، له بوابة رئيسة محاطة ببرجين قويين من جانبها، وتفضي تلك البوابة إلى دهليز كبير في نهايته بوابة أخرى محصنة ببرجين أيضاً، ويليها بنايات متهدمة ومسجد صغير[٢٣]، والمدينة كانت مسورة، ولازالت بقايا أسوارها ماثلة للعيان حتى اليوم، ويصل

ارتفاعها في بعض الجهات إلى ثلاثة أمتار[٢٤]، ويُقَدِّر العقيلي محيط السور بأنه يزيد على أربعة كيلومترات، ويقرر أنها هي المدينة الوحيدة من مدن المخلاف التي كانت محاطة بأسوار[٢٥].

الإطار التاريخي:

كان المخلاف السليماني يتكون من مخلافين اثنين هما مخلاف حكم، ومخلاف عثر، وقد تم توحيد المخلافين معًا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على يد سليمان بن طرف الحكمي، واشتهر باسم المخلاف السليماني نسبة إلى سليمان المذكور الذي تمت هذه الوحدة على يديه، وأسس أول حكومة محلية في ذلك الإقليم، استقلت بشؤونها الداخلية عن الدولة العباسية ببغداد[٢٦]، وكانت عاصمة المخلاف في عهد سليمان بن طرف مدينة ساحلية تعرف باسم عَثَّر أو عَثْر، تقع بالقرب من مصب وادي بيش في المنطقة المعروفة اليوم باسم قوز الجعافرة[٢٧]، وظلت عثر عاصمة للمخلاف في عهد بني سليمان الأوائل الذين استقلوا بحكم المخلاف السليماني منذ أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد[٢٨]، وبقي الحكم متوارثًا في أسرهم حتى سقوط حكمهم على يد الشريف أبي نمي بن بركات، أمير مكة المكرمة، في سنة ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧ م، كما أسلفنا. إلا أن عَثَّر لم تستمر عاصمة للمخلاف طوال فترة حكم بني سليمان، إذ سرعان ما انتقل كرسي الإمارة إلى مدينة جازان العليا عند قيام أسرة الأشراف الغوانم التي ذكرنا سابقًا أنها استمرت في الحكم حتى سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠١ م ثم انتقل حكم المخلاف إلى بني عمهم الأشراف آل قطب الدين في عهد مؤسس تلك الأسرة خالد بن قطب الدين الذي تم في عهد أسرته بسط سيادة الأشراف آل قطب الدين على كامل تراب المخلاف السليماني

من حدود إمارة حلي بن يعقوب شمالاً إلى ما وراء منطقة حرض جنوبًا [٢٩]، وينسب إليه، وإلى أولاده من بعده بناء قلعة جازان العليا، وبقية مرافق المدينة التي ظلت عاصمة للمخلاف في عهد الأسرة القطبية[٣٠]، وعندما توفي خالد بن قطب الدين في سنة ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩ م، خلفه ابنه دريب بن خالد الذي استمر حكمه للمخلاف حتى سنة ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م[٣١]، ويعد عهد الأمير دريب بن خالد محور حديثنا عن الأوضاع التاريخية للمخلاف على اعتبار أن هذا الشاهد، موضوع الدراسة، صنع في عهده.

غير أن عهد الأمير دريب بن خالد، لم يشهد أحداثًا كبرى تستحق الخوض فيها سوى حادثتين اثنتين، إحداهما ما يعتقد بحدوث عصيان مدني في ناحية حرض بعد وفاة والده خالد بن قطب الدين، مما جعله يشن عددًا من الحملات على تلك الناحية، وتمكن من إخضاع بني موسى، رؤساء الشرجة بساحل حرض، وكذلك بني سبأ، مشايخ حرض نفسها، وغيرهم من مشايخ تلك الجهات، وعمل على إعادتهم بالقوة إلى الخضوع لسلطانه، والدخول من جديد في طاعته، والانضمام لشرعية حكمه، وذلك بعد أن أقرهم على ما تحت أيديهم مقابل إتاوات يدفعونها إليه، وضمانات أخرى ضمنوها له[٣٢].

أما الحادثة الثانية التي شهدها عهد الأمير دريب بن خالد فهي سقوط دولة بني رسول في سنة ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م، وقيام دولة بني طاهر على أنقاضها[٣٣]، حيث سار الأخيرون سيرة أسلافهم، بني رسول، من حيث الاعتراف بسلطان الأمراء آل قطب الدين على المخلاف السليماني بكامله، بما في ذلك ناحية حرض، بدليل أن دولة بني طاهر كانت تقف في عهد مؤسسها السلطان الملك المجاهد علي بن طاهر بن معوضة (ت ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨ م) عند

حدود منطقة حرض الجنوبية، ولم تتعدها إلى الشمال كما نص على ذلك اقتسام مملكة اليمن بين السلطان علي بن طاهر بن معوضة، وأخيه الملك الظاهر، حيث أخذ الأول تهامة اليمن من حدود ما ذكرنا شمالاً إلى حيس جنوبًا، وكان نصيب الثاني من حيس شمالاً إلى عدن جنوبًا، بما في ذلك تعز، وإب، وجبلة، وذمار، وبعض الحصون الجبلية(٣٤)، ومع ذلك، فقد كان لأمير جازان، دريب ابن خالد، أطماعه في التوسع في تهامة اليمن، تلك الأطماع التي لم تكن لتخفى على زعيم بني طاهر، مما حمله في سنة ٨٦٥ هـ/ ١٤٦١ م، على مصادرة أملاك الشيخ الجبرتي في زبيد بتهمة أن الأخير كاتب أمير جازان وأطمعه في اليمن(٣٥)، كما كانت مدينة جازان العليا في عهد الأمير دريب بن خالد، ملاذًا للفارين والخارجين على سلطان بني طاهر، وكذلك المعارضين لحكمهم مثل التجاء الشيخ أحمد بن الغيث، زعيم قبيلة الزيديين التهامية، إلى أمير جازان بعد مقتل والده أبي الغيث بن حفيظ في سنة ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م(٣٦)، وتمكن من ملجئه من العودة بجموع كثيرة إلى قرية الشريج، حيث ضرب عليها حصارًا شديدًا، وأجبر سليمان السنبلي، قائد العساكر الطاهرية، على الهرب منها بفرسانه مخلفًا وراءه عددًا من القتلى الذين لقوا حتفهم على يد الشيخ أحمد بن أبي الغيث ورجاله من قبيلة الزيديين الأقوياء(٣٧).

وصف الشاهد:

شاهد قبر من الحجر الجيري، مستطيل الشكل تقريبًا، به كسور من أعلاه، وفي الطرف الأيمن من أسفل، بالإضافة إلى تأثير عوامل التعرية في السطر الأخير من الجهة اليسرى. عدد أسطره سبعة أسطر بخط الثلث البارز. معدل الجزء المنقوش ٤٤ × ٣٢ سم تقريبًا. وهو مؤرخ في شهر رمضان سنة ٨٦٨ هـ/ الموافق مايو ـ يونيو ١٤٦٤ م. (انظر: الشكل رقم ٦ أ، ب).

النص :

١ ـ لا إله إلا الله . .

٢ ـ محمد رسول الله . .

٣ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . كل من . .

٤ ـ عليها فان . ويبقا [كذا] وجه ربك ذو ا . .

٥ ـ لجلال والإكرام[٣٨]، هذا قبر الحرة الطاهرة . .

٦ ـ فرات بنت علي بن محمد الجَرِيْبِي توفيت [في] شهر رمضان . .

٧ ـ سنة ثمان وستين وثمان مئة [كذا] سنة . .

التعليـق :

يبدأ النص بجملة لا إلـه إلا الله محمد رسـول الله، مـوزعتين على السطـرين الأول والثاني، وتحفان بقـوس على شكل محراب مدبب بداخله زخـرفة على هيئة مثلث حاد الزوايا، تعلو رأسه ورقة نباتية ثلاثية الفصوص.

وتحف بضلعيه المائلين إلى الداخل مروحتان نخليتـان، وبداخله عند القاعدة مثلث صغير مطمـوس رأسـه إلى أسفل وقـاعـدتـه إلى أعلى. يلي ذلك الأسطـر الخمسة البـاقية، التي تبـدأ بالبسملة، فـآية قـرآنية من سـورة الرحمن، ثم اسم المتوفـاة، وتاريخ وفاتها في رمضـان سنة ٨٦٨ هـ/ مـايو ـ يـونيو ١٤٦٤ م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما صاحبة الشاهد فتدعى فرات بنت علي بن محمد الجريبي، وقد ورد اسمها مسبـوقًا بلقبين اثنين هما الحرة، والطـاهـرة، وهما من ألقاب النسـاء التي تسبق أسماءهن في العادة، فـالحرة تعني في اللغة عكس المملـوكة، أو الأمـة، وكذلك الكريمة، والطـاهرة، تعني المتنزهة عن الأدناس والخاليـة من العيوب، وهذان

اللقبان يردان كثيرًا على النقوش الإسلامية الجنائزية[٣٩]، والمتوفاة غير معروفة في المصادر التي تعنى بتاريخ المخلاف السليماني، إلا أن النسبة التي تلحق اسمها، وهي «الجَرِيْبِي» ربما تجعلها من سكان المخلاف مولدًا ونشأة؛ لأن هذه النسبة ترد حتى اليوم في أسماء عشيرة تدعى الجَرَابِيَة، وتسكن بوادي جازان، وبصورة خاصة في محلتي الخضراء الجنوبية والخضراء الشمالية. ويقال إن عشيرة الجرابية هذه تمت بأصولها إلى قبيلة كنانة المشهورة التي تقطن غالبيتها حاليًا في وادي حلي بن يعقوب بمنطقة القنفدة، في جنوب الحجاز[٤٠]، وكان انتشار قبيلة كنانة في العصور الإسلامية يمتد جنوبًا إلى وادي حمضة المشهور بالقرب من مدينة القحمة الحالية بمنطقة جازان[٤١]، فإذا صحت نسبة المتوفاة إلى عشيرة الجرابية الكنانية، فإن ذلك يعني أن قبيلة كنانة تخطت مواطنها الأصلية، وزحفت إلى الجنوب، واستوطنت في أعماق منطقة جازان منذ وقت مبكر، ولا شك أن وجود عشيرة الجرابية التي تنتمي إليها المتوفاة، بوادي جازان، منذ تاريخ هذا الشاهد ـ يعد أحد الأمثلة على ذلك الاستيطان المبكر. ومن أمثلته أيضًا وجود عشيرة آل صنبع الكنانية التي تسكن العالية بوادي بيش، ثم بني عمهم عشيرة آل عداوي التي تسكن الدرب، المعروف بدرب بني شعبة المنسوب إلى قبائل بني شعبة الكنانية التي تسكن في ربوعه أيضًا[٤٢]، ناهيك عن وجود عدد من الأسر الكنانية التي تنتشر في طول منطقة جازان وعرضها حتى حدود المملكة العربية السعودية مع اليمن[٤٣].

أما فيما يتعلق بالخصائص الخطية لهذا النقش فتتمثل في كونه نقش بخط الثلث البارز بين سطور متوازية تقريبًا، وبارزة بروز الكتابة نفسها، بحيث جاءت على هيئة جداول مسطرة تشبه إلى حد ما تلك التي تلاحظ في بعض المصاحف والمخطوطات الإسلامية. إلا أن الأسطر التي تحف بالكتابة في هذا

الشاهد تختلف عن جداول المصاحف والمخطوطات في كونها عريضة وخشنة وغير محكمة، ويتميز هذا النص الذي بين أيدينا، بوضوح حروفه، واستطالة بعضها، ورشاقتها، واستخدام الترويس في بعضها، ولا سيما في الحروف القائمة كحروف **اللام والألف** مما يدل على معرفة النقاش بقواعد الخط العربي، لأن الترويس إحدى خواص خط الثلث اللازمة[٤٤]، وهو خال من علامات الإعراب (التشكيل)، على حين توجد به بعض علامات الإعجام (التنقيط)، ولو أن استخدامها هنا تعدى إعجام الحروف إلى سد فراغات ما بين السطور بحيث تظهر على الحروف المعجمة والحروف المهملة، الأمر الذي يشكل صعوبة كبيرة في التفريق بين تلك العلامات في كلتا الحالتين[٤٥].

ويتميز النص أيضًا بوجود ما يعرف بالتركيب الذي هو إحدى الخصائص الجائزة في خط الثلث[٤٦]، ويمكن تتبعه في جميع أسطر النص ما عدا السطر الأول، ويتمثل ذلك في إركاب الحروف بعضها فوق بعض، أو فوق كلمات مجاورة لها، وكذلك إركاب بعض الكلمات فوق كلمات أخرى في السطر، مثل كلمة **قبر** (سطر ٥) التي جاءت راكبة فوق كلمة **هذا** في السطر نفسه، وكلمة **علي** (سطر ٦) التي أركبت فوق كلمة **بنت**، ومثل ذلك ينطبق على كلمة **محمد** التي أركبت فوق كلمة **بن**، وكلمتي **شهر رمضان** اللتين أركبتا معًا فوق كلمة **توفيت** في السطر نفسه. أما في السطر الأخير فجاءت كلمة **ثمانمائة** راكبة فوق آخر كلمتين في النص هما: **وستين سنة**. ولعل لضيق الحجر، وطول النص المضمن في المساحة المتاحة، دورًا كبيرًا في التركيب بالإضافة إلى كونه إحدى خصائص خط الثلث كما قدمنا. ومن المحتمل أيضًا أن ضيق الحجر، وطول النص لعبا دورًا في طريقة كتابة **الميم** في كلمة **الإكرام** (سطر ٥) التي جاء ذيلها متصلاً مباشرة بعقدتها، وعلى نحو يشبه ذيل ألف مسحوب، وليس ميمًا

محققًا. وكذلك حرف **الهاء** في كلمة **الطاهرة** (سطر ٥) التي جاءت حبكتها صغيرة ومطموسة وعمودية على حرف **الراء** المتصلة بها.

ويكاد النص يخلو من الزخرفة باستثناء بعض النقط المعرضة أو ما يشبه الدوائر المطموسة المتناثرة في فراغات ما بين السطور والتي استخدم بعضها في إعجام بعض الحروف، وبعضها الآخر استخدم لأغراض زخرفية، ولسد تلك الفراغات ــ يضاف إلى ذلك وجود عناصر أخرى متفرقة في النص، ربما استخدمت لأغراض زخرفية مثل تلك التي توجد بجوار **الهاء** في لفظ الجلالة (سطر ١)، وتلك التي تعلو **العين** في كلمة **عليها** (سطر ٤) **والسين** في كلمة **سنة** (سطر ٧). ويشبه هذا النقش في خصائصه الخطية كثيرًا من النقوش المعاصرة له في مصر والحجاز وغيرهما من الأقطار الإسلامية؛ إلا أن النقوش التي وصلتنا من مدينة صعدة اليمنية التي لا تبعد كثيرًا عن منطقة جازان، هي أكثر شبهًا بنقشنا هذا سواء من حيث أسلوب الخط، أو شكل الزخرفة المحرابية التي تتصدر السطرين الأولين منه[٤٧].

وليس في النص ملاحظات إملائية جديرة بالذكر سوى أن كلمة يبقا (سطر ٤) كتبت بالألف الممدودة، وصحتها ألف مقصورة. وهناك ملاحظة أخرى تتعلق بالاسم الأول للمتوفاة «فرات»، إذ لم يعثر في المصادر العربية المتاحة ما يشير إلى أن هذا الاسم أطلق على امرأة، وإنما أطلق مسبوقًا «بأل» التعريف «الفرات» على حفنة فقط من الرجال الأقدمين[٤٨]، كما أنني لست متأكدًا من شيوعه بين نساء منطقة جازان في وقتنا الحاضر. ويبدو أن فرات من الأسماء التي يستوي فيها التذكير والتأنيث، وأن أقوى الاحتمالات لقراءته حتى الآن هي تلك التي ذهبنا إليها، أي فرات، على اعتبار أن حرف المد بالألف محذوف، أو أن النقطتين المتعامدتين اللتين يقسمهما حرف التاء ما هما إلا ألف

المد، والتاء راكبة عليها. ويعزز هذا الاحتمال أن «فرات» ألصَق بالنساء منه بالرجال؛ لأنه مشتق من الماء الشديد العذوبة الذي قد يكون صفة للنساء أكثر من الرجال[٤٩]، ولدينا أمثلة كثيرة على أسماء النساء التي تتصل بطريقة وأخرى بالماء العذب مثل مَطَرَة، وعَذْبَة، وغَيْثَة ومُزْنَة، وهَتُون، وغير ذلك. وما لم نهتد إلى قراءة أخرى لاسم المتوفاة فإن «فرات» هو الاسم الراجح لها في حدود اجتهادي.

نخلص مما تقدم أن مدينة جازان العليا كانت معروفة منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد، عندما اتخذت عاصمة للمخلاف السليماني من قبل الأشراف الغوانم، وحلت محل مدينة عَثَّر الساحلية، العاصمة السابقة لها. وقد ازدهرت جازان العليا على عهد أسرة الأشراف آل قطب الدين الذين ورثوا الحكم في المخلاف من بني عمهم الأشراف الغوانم، والذين استكملوا المنشآت المعمارية للمدينة في عهد الشريف خالد بن قطب الدين، مؤسس حكم هذه الأسرة، ثم في عهد أبنائه من بعده. وظلت المدينة مزدهرة في عهد تلك الأسرة إلى أن عاجلها الخراب والدمار في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر للميلاد، وَوَرَّثت جارتها مدينة أبي عريش مركزها الإداري والعمراني حتى عصور متأخرة.

كما يتضح أن لآثار مدينة جازان قيمة تاريخية جديرة بالكشف عنها، وذلك لكونها عاصمة مخلاف واسع كان يشمل منطقة جازان الحالية في المملكة العربية السعودية وناحية حرض في الجمهورية العربية اليمنية، ولطول فترة الاستيطان بها، وقوة عمرانها، ومتانة أسوارها، وكثرة مرافقها، واتساع رقعتها الممتدة على طول الضفة الجنوبية لوادي جازان الخصيب. ويتضح أيضًا من العثور على هذا الشاهد بالموقع، ارتقاء مستوى الكتابة بالمدينة، وتقدمها الحضاري،

واستيطان أفراد من عشيرة الجرابية الكنانية بها، فضلاً عن كونه دليلاً قويًا على احتمال أن يكون هذا الموقع يحتوي على أعداد كبيرة من النقوش الشاهدية، ذات القيمة الفنية والأهمية التاريخية التي قد تضيف جديدًا إلى أسماء الأسر والحكام والعشائر التي عاشت في المدينة حين ازدهارها.

الإحالات

(١) ضمن مشروع بحث عن الكتابات الإسلامية يموله مركز البحوث بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود.

(٢) أخبرني الدكتور محمد حبيب من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، بوجود هذا الشاهد في مقر المشروع قبل زيارتي لمنطقة جازان فله الشكر، والشكر أيضًا للشيخ ضيف عيسى الدرَّاج، شيخ قبيلة حاكمة، الذي رافقني إلى الموقع، وكذلك لزميلي الدكتور مكي عمودي، الأستاذ بكلية العلوم، جامعة الملك سعود، الذي أمدَّني بمعلومات قيمة عن المنطقة لكونه من أبنائها والعارفين بها.

(٣) عن هاتين الأسرتين، انظر: أحمد بن عمر الزيلعي، **الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان**، ط ١، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، ص ٩٣ ـ ٢٢٩.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، **الآثار التاريخية في منطقة جازان**، ط ١، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ص ٣٧.

(٥) انظر الشكل رقم (١).

(٦) محمد بن أحمد العقيلي، **مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل**، ط (٢)، جازان، مطابع جازان، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ١٨.

(٧) أحمد بن عمر الزيلعي، «الأشراف الغوانم، أمراء المخلاف السليماني»، **مجلة العصور**، المجلد السادس، الجزء الثاني، لندن، دار المريخ، يوليو ١٩٩١ م/ ذو الحجة ١٤١١ هـ، ص ٢٧١ـ٢٧٣.

(٨) محمد بن أحمد العقيلي، **الجراح بن شاجر الذروي**، ط ١، الرياض، مطابع الرياض، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ص ٤١ ـ ٤٤.

(٩) البهكلي، علي بن عبد الرحمن، **العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب**، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، جدة، مطابع البلاد، د. ت. ص ٥٣.

(١٠) أحمد بن عمر الزيلعي، **الأوضاع السياسية**، ص ١٥٧ ـ ٢٢٤.

(١١) أحمد بن عمر الزيلعي، «الأشراف الغوانم»، ص ٢٦٥ ـ ٢٩٧؛ **الأوضاع السياسية**، ص ٩٣ـ٢٢٦.

(١٢) ابن فهد، نجم الدين عمر، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق عبد الكريم علي باز، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، جـ ٤، ص ٦١٣ ـ ٦١٤؛ العصامي؛ عبد الملك بن حسين؛ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، القاهرة، المطبعة السلفية، د. ت.، جـ ٤، ص ٢٧٧؛ البهكلي، **العقد المفصل**، ص ٥٣.

(١٣) النعمان، علي بن عبد الله الشقيري، **العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني**، مخطوط، جامعة الملك سعود، مجموعة العقيلي، ص ١٦٦؛ الكبسي، محمد بن إسماعيل، **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمانية**، القاهرة، مطبعة السعادة، د. ت.، ص ١٥٦؛ أحمد بن عمر الزيلعي، **الأوضاع السياسية**، ص ٢١٦.

(١٤) النعمان، **العقيق اليماني**، ص ١٧٩؛ محمد بن أحمد العقيلي، **الآثار التاريخية**، ص ٤٩.

(١٥) محمد بن أحمد العقيلي، **ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل**، ص ٢؛ **الآثار التاريخية**، ص ٥٠.

(١٦) محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، الرياض، مطابع الرياض، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٧٩ م، جـ ١، ص ٤٠٣ ـ ٤١٩.

(١٧) البهكلي، **العقد المفصل**، ص ٧٢؛ محمد بن أحمد العقيلي، **الآثار التاريخية**، ص ٥٠ ـ ٥٢. صارت مدينة «أبو عريش» عاصمة للمخلاف السليماني في عهد الأشراف آل خيرات، وعنهم انظر: محمد ابن أحمد العقيلي، **المخلاف السليماني**، جـ ١، ص ٤٤٦ ـ ٥٦٢.

(١٨) انظر الشكل رقم (٢).

(١٩) انظر الشكل رقم (٣).

(٢٠) البهكلي، **العقد المفصل**، ص ٥٣.

(٢١) نفس المكان؛ **ابن هتيمل**، ص ١٨.

(٢٢) محمد بن أحمد العقيلي، **الجراح بن شاجر الذروي**، ص ٣٢؛ انظر الشكل: (٤).

(٢٣) محمد بن أحمد العقيلي، **الآثار التاريخية**، ص ٥٥.

(٢٤) انظر: الشكل رقم (٥).

(٢٥) محمد بن أحمد العقيلي، **الجراح بن شاجر الذروي**، ص ٣١ ـ ٣٢؛ **الآثار التاريخية**، ص ٥١.

(٢٦) محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، جـ ١، ص ٨٠؛ أحمد بن عمر الزيلعي، «بنو سليمان حكام المخلاف السليماني»، **حوليات كلية الآداب**، الحولية الثانية عشرة، الكويت، جامعة الكويت ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م، ص ١٣ ـ ١٤؛ **الأوضاع السياسية**، ص ٩ ـ ١٠، ١٩.

(٢٧) عن العمل في هذا الموقع انظر: يوريس زارنيس وآخرون، «التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية. **الأطلال**، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٢، يوريس زارنيس وعوض السباني الزهراني «الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي «عثر» و«سهى» ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. **الأطلال**، العدد التاسع ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧٦-٧٧، ٨٢-١٠٣. وتجدر الإشارة إلى أن موقع عثر يأخذ الرقم ٢١٧/ ١٠ في سجلات إدارة الآثار والمتاحف السعودية هذا بالنسبة للعمل الأثري. أما بالنسبة لتحديد الموقع فانظر: محمد بن أحمد العقيلي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان)**، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ص ١٥٤ ـ ١٥٩؛ **تاريخ المخلاف السليماني**، جـ ١، ص ٨٠؛ **الآثار التاريخية**، ص ٣٧.

(٢٨) محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، جـ ١، ص ٢٠٦؛ أحمد بن عمر الزيلعي، «بنو سليمان»، ص ٢٥ ـ ٦٩.

(٢٩) النعمان، **العقيق اليماني**، ص ١٢٨؛ أحمد بن عمر الزيلعي، **الأوضاع السياسية**، ص ١٥٧ـ٢٢٩.

(٣٠) البهكلي، العقد المفصل، ص ٥٣؛ محمد بن أحمد العقيلي، الآثار التاريخية، ص ٥١.

(٣١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.، ص ٢١٨؛ البهكلي، **العقد المفصل**، ص ٥٤.

(٣٢) ابن الأهدل، حسين بن عبد الرحمن بن محمد؛ **علماء اليمن**، مخطوط، المتحف البريطاني، رقم ١٣٤٥، ورقة ٥ ب.

(٣٣) عن سقوط دولة بني رسول وقيام دولة بني طاهر، انظر: محمد عبد العال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، ١٩٨٠ م، ص ٢٤٠ ـ ٢٥٩.

(٣٤) النعمان، **العقيق اليماني**، مخطوط، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٣٥) الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٧٤ هـ، جـ ٢، ص ١٥٣.

(٣٦) أحمد بن عمر الزيلعي، **الأوضاع السياسية**، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣٧) الديبع، **قرة العيون**، جـ ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣٨) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الرحمن.

(٣٩) حسن الباش، **الألقاب الإسلامية**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م، ص ٢٥٨؛ مصطفى شيحة، **شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٤٨ ـ ٤٩؛ محمد سيف النصر، دراسة لمجموعة من شواهد القبور، صنعاء، ١٩٨٣ م، ص ١٧، ٣٢، ٣٨.

(٤٠) عاتق بن غيث البلادي، **بين مكة واليمن**، ط ١، مكة المكرمة، دار مكة، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٤١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٢٥٨.

(٤٢) عاتق بن غيث البلادي، **بين مكة واليمن**، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨.

(٤٣) أفادني الأستاذ إبراهيم صنبع بمعلومات قيمة عن الجرابية، وآل صنبع، وآل عداوي وغيرهم من الأسر الكنانية التي تسكن بمنطقة جازان، وكذلك عن مناطق سكناهم، فله الشكر الجزيل.

(٤٤) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، جـ ٣، ص ١١٥.

(٤٥) انظر على سبيل المثال السطرين الأول والثاني التي تنتشر فيهما تلك النقاط أو الدوائر المطموسة، على الرغم من أن جميع حروفهما مهملة، مما يعني أنها استخدمت لملء الفراغ فقط.

(٤٦) علي بن إبراهيم غبان، **نقشان من شبه جزيرة سيناء**، الرياض، مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ص ٢٧.

(٤٧) مصطفى شيحة، **شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة**، ص ٢٤٦، ٢٤٨-٢٤٩، ٢٥١-٢٥٢-٢٧٢، محمد سيف النصر، دراسة لمجموعة من شواهد القبور، بجبانة مدينة صعدة ص ٦١ ـ ٦٣.

(٤٨) ابن الأثير، أبو الحسن بن علي أبي الكرم، **الكامل في التاريخ**، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، جـ ١، ص ١٠١، جـ ٣، ص ٣٦٧، جـ ٤، ص ١٦، جـ ٦، ص ٦٩؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، جـ ٣، ص ٤٢١، جـ ٤، ص ١٣٧، ٣٤٠، جـ ٥، ص ٣١.

(٤٩) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م، ص ٣٤٦؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت، دراسات لسان العرب، د. ت، جـ ٢، ص ١٠٦٥.

منطقة جازان

ش
منطقة عسير
الشقيق
الدرب
الريث
أم الخشب
القضاب
فيفا
عثر
صبيا
جازان العليا
حاكمة
العارضة
أبو عريش
جازان
جزر فرسان
سامطة
اليمن
الموسم
موقع أثري
مواقع أودية
مدينة أو قرية
حدود اقليمية
حدود دولية
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ كم

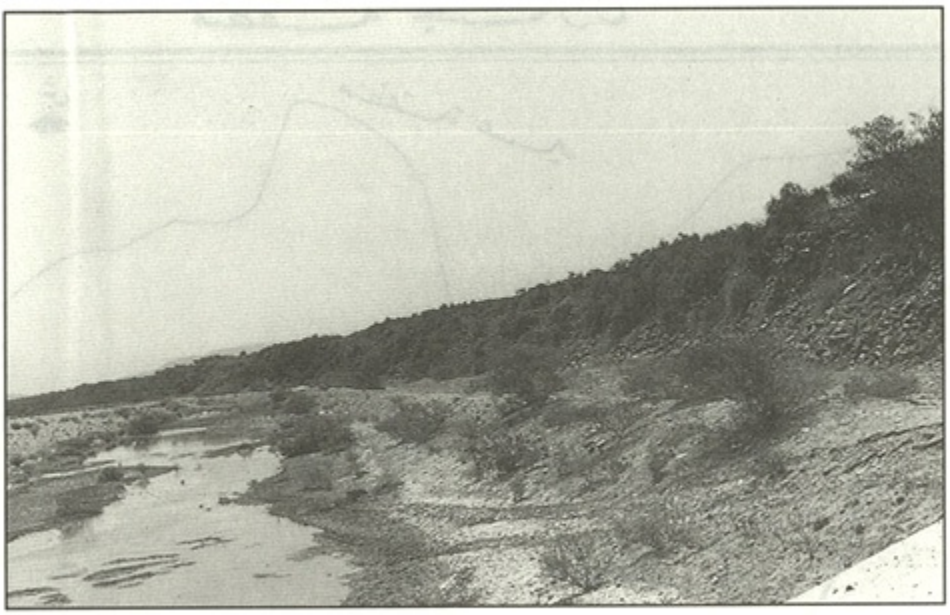

شكل (٢)

● أطلال المدينة المغطاة بأشجار الأراك تطل على مجرى وادي جازان من الجنوب●

شكل (٣)

● بعض أساسات الجدران التي تغطيها الأشجار داخل المدينة●

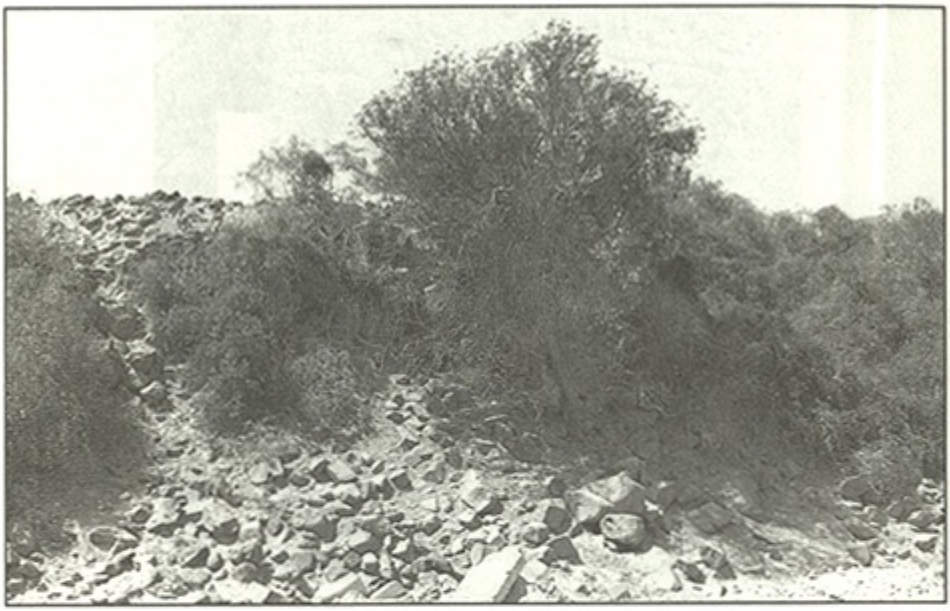

شكل (٤)

● بعض ركام المباني التي يمكن مشاهدتها من بين الأشجار ●

شكل (٥)

● جزء من سور المدينة مما يلي وادي جازان من ناحية الجنوب ●

رقم (٦ أ) ● شاهد أثري ●

رقم (٦ ب) ● كتابات على الشاهد الأثري ●